

مذكرة

بشأن الآثار المسيحية التي أمكن تحقيقها في أثناء رحلة قسم الآثار للموسم ١٩٤٩

كان لرحلة قسم الآثار العلمية في هذا العام إلى جانب ناحية العاديات المصرية ودراستها وقراءة ما عليها من النصوص طابع فرعى جديد هو البحث عن مواقع الآثار التابعة لمهد متأخر في فجر العصر الوسيط أو على وجه أخص الآثار المسيحية أو الرومانية والبيزنطية التي اختلطت أحياناً اختلاطاً شديداً بالآثار المصرية القديمة ، واعتنى علماء الأحيوتولوجيا بدراسة القديم وتنظيفه مما هو أحدث منه ، فكان من جراء ذلك أن ظلت الآثار المسيحية بالرغم من أهميتها الفائقة في القرون الأولى الميلادية نسبياً

وقد وفقنا في هذه الرحلة بصفة مبدئية إلى تحقيق بعض المواقع والمعالم الهامة من العصرين الروماني والبيزنطي نجملها فيما يلي :

منطقة أسوان

(١) دير القديس سمعان الشهير بدير أنبا هدره في الصحراء الغربية على مسيرة نصف ساعة من البر الغربي - سابق للفتح العربي وجاء تخريبه على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٧٢ م. وكثير من أجزائه الأساسية قائم إلى اليوم زارها الطلاب وحاضرناهم فيها . وكان تخريب هذا الدير في أثناء الصراع الذي قام بين الدولة الإسلامية المصرية ومملكة النوبة المسيحية .

(٢) دير مار جرجس أو القديس جاورجيوس على شتة إحدى التلال الغربية المطلة على النيل وهو خرب ومتهدم وحيطانه وعروشه قد وقعت في داخله ولم يحفر فيه أحد.

(٣) سلسلة من الحصون الواقعة على الجبال المتطرفة في المناطق المتاخمة لمديرية أسوان على حافة الصحراء ، ولم تتمكن من الوصول إليها لضيق الوقت ووعورة المسالك المؤدية إليها ، والغالب أن هذه الحصون أديرة قديمة .

منطقه إسنا

بها عدد كبير من الآثار المسيحية العتيقة لأنها من المعاقل الكبرى لنشر تلك الديانة في القرون الأولى ولقيام كثير من آباء الرهبان من بين سكانها - ونحن وإن لم نستطع الوقوف على هذه المدينة لنسعى إلى زيارة ما يمكن اقتناؤه من آثارها المسيحية ، إلا أننا نستطيع أن نسجل أسماء بعض الأديرة التي علمنا بوجودها بطريقة ثانوية .

(١) دير الشهداء

(٢) دير الفاخوري

(٣) دير أبي سيفين

(٤) دير مار جرجس

منطقه الأقصر

وفيها نوعان من المؤسسات المسيحية ، الأول مختلط بالآثار الوثنية القديمة

التي أعيد إستعماله بمد إعتناق المسيحية ، والثانى عبارة عن مؤسسات وأديرة
مسيحية جديدة مستقلة . أما النوع الأول فيشمل :

(١) إستعمال البهو الداخلى و قدس الأقداس من معبد الأقصر ونحوه إلى
كنيسة ولا زالت آثار الرسوم المسيحية بالألوان العتيقة واضحة على جدران
قدس الأقداس يكاد يتضح من بينها رسم الشارويم والصاروفيم ذوى
الستة أجنحة .

(٢) بقاء معبد الأقصر من ناحية الغرب قرب شاطئ النيل أسس كنيسة
بيزنطية بعض أعمدها لا يزال قائماً ويقال إنها من عهد الامبراطور جستنيان
وهذا جائز إذا حكمنا على طبيعة عمداتها والمتخلف من رؤوس عمداتها وأسلوب
البناء العام .

(٣) الدير البحرى بالبر الغربى وهو الذى ابتنته الملكة حتشبوت من
الأسرة الثامنة عشرة وقد أستعمل فعلا كدير فى العصر المسيحى ، والجناح
الأعلى إلى ناحية الجنوب يشمل عدة مقاصير وحيطان تكتظ اكتظاظاً بالنقوش
القبطية والصلبان المسيحية التى تختلط إختلاطاً بالنقوش والرسوم القديمة .

(٤) دير المدينة وهو من مخلفات الأسرات القديمة المتأخرة ويقال إنه أيضاً
أستعمل كدير مسيحى .

(٥) ومعبد الكرنك بعض أماكن إستعملها النساك المسيحيون من العهد
الأول لاقامتهم من بينها جوة فى مبانى أحد بيلونات تحتمس الثالث وحتشبوت
بها قبة تدل دلالة واضحة على أن أحد الرهان إتخذ منها قلاية يتعبد فيها .

ومن أمثلة النوع الثانى أى العائر المسيحية البحتة :

(١) دير أنبا فويامون بالبر الغربى فى سفح الجبال النائية ويقال إن بناءه كان معاصراً لمؤسس حياة الشركة أو حركة الديرية المصرية القديمة القديس باخوميوس فى القرن الرابع الميلادى - وقد أجريت فيه حفريات على جانب كبير من الأهمية بواسطة جمعية الآثار القبطية ، وقد جمعت البعثة المكلفة بذلك عدداً هائلاً من النقوش القبطية كما كشفت عن أساس الدير ، واستخرجت من آثاره عدة صناديق بها بعض « موميات » الرهبان والشقافة والخشب والصلبان وغير ذلك .

(٢) دير محارب بالقرب من مدينة هابو وهو لا يزال قائماً فى جلته برعاية أحد قسوس القبط ، وقد زرتاه ووجدنا أنه يتكون من كنيسة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد الشهداء فى حكم الامراطور دقلديانوس بالقرن الثالث الميلادى والجزء الاحدث والأكبر المضاف إليها يرجع إلى عصر متأخر نسبياً والكنيسة معروشة بالقباب ويتبعها رحبتان غير معروشتين لايواء الحجاج ومطابخهم وعند مدخله مصطبة كبيرة للجلوس وعلى يسار المدخل الفرن الخاص بعمل الخبز المقدس والقربان ومحيط بالدير حائط كامل - وقامت بعثة أمريكية بالحفر فيه .

وهناك نوع ثالث لا بد من تسجيله أيضاً هو تلك المغاور والصوامع التى تعد بالمئات على مرتفعات مختلفة فى جبال الأقصر الغربية من وادى الملوك ووادى الملكات وما بينها من قبور الأشراف ، وبعضها لا شك كان عبارة عن قبور قديمة نحتت فى الصخر ، ويغلب ظنى أن عدداً كبيراً منها استعمله الرهبان المتوحدون والنسك فى العصر المسيحى الأول من الرهبانية القديمة قبل نشأة حياة الشركة وتأسيس الأديرة النظامية .

كذلك وصل إلى عالمى أنه فى البر الشرقى من الأقصر توجد بعض المباني القديمة على حافة الوادى والصحراء لم نستطع الوصول إليها فى هذه المرحلة المبدئية لبعدها ووعورة مسالكها وما تتطلبه من الاستعداد وتستلزمه من النفقات ومن بينها على وجه أخص دير فى حالة جيدة اسمه « دير الشايب » .

منطقة الأقصر - نقادة :

هذا وقد تمكنا بمساعدة حضرة مفتش عام مصلحة الآثار بمنطقة الأقصر من القيام برحلة خاطفة فى المنطقة الأثرية الواقعة عند سفح التلال الغربية التى تحيط بالوادى والأرض الزراعية الممتدة على جانب النيل ، وقد تبينت لنا أهمية هذه المنطقة الفائقة فى العصر المسيحى الأول ، فقد أحصينا من المؤسسات التى لازالت أثارها منظورة ستة أديرة هى :

- (١) دير الملاك - وبجواره مذبح فى العراء .
- (٢) » القزاز .
- (٣) » أبو حطب .
- (٤) » المجمع .
- (٥) » المقدس .
- (٦) » أبى الليف .

وهذه هى الأسماء المعروفة بها تلك الأديرة بين سكان المنطقة وجميعها من القرون المسيحية الأولى وأغلب الظن أنها كانت من المؤسسات الباخومية التى خضعت فى القرنين الرابع والخامس لقوانين القديس باخوميوس الشهيرة -

ويلوح أن الأبرية السمة التي سجلنا أسماءها هنا ليست هي كل ما في هذه المنطقة وإنما يوجد غيرها مما يمكن الكشف عنه بالبحث والتنقيب ومقارنة الأصول الديرية المسيحية بتلك المناطق ودراستها دراسة دقيقة .

والواقع أن هذه المؤسسات المسيحية القديمة التي كانت مارة كل الإهمال حتى أنها لم تظهر بكثير أو قليل من عناية الأثريين أو مصدحة الآثار بدأت تستلفت النظر بدليل الحفريات التي قامت بها جمعية الآثار القبطية في دير أنبا فوييامون بمنطقة الأقصر الغربية ؛ ودليل آخر في هذه المنطقة بلدات على مقربة من نقادة حيث يقوم المتحف القبطي بالاشتراك مع هيئة أجنبية بحفريات في دير القزاز تمخضت عن كشف لها قيمتها الأثرية والتاريخية ، فقد عثر المتحورون فيه على كميات من البردي والشقافة المكتوبة والصلبان والأختام المنقوشة والأقنعة وغير ذلك مما سيصير إرساله بواسطة تفتيش الآثار إلى المتحف القبطي عن طريق المصلحة في القريب العاجل لتبويبها وترتيبها ومجيزه للعرض والدراسة .

هذا قليل من كثير تمكنا من تسجيله على هامش رحلة قسم الآثار . ونأمل أن تتاح لنا الفرصة من الاضافة إليه حتى يكتمل - والواقع أن منطقة الصعيد الأعلى أي من الأقصر إلى أسوان مع ما لها من الأهمية في هذه الناحية الأثرية إلا أنها تعتبر من الطراز الثاني أو المرتبة الثانية إذا قيست - على ما نظن - بما في منطقة فنا التي تعتبر مهد الحركة الديرية المعروفة بحياة الشركة من نظام وقوانين القديس باخوميوس في القرن الرابع وكذلك منطقة سوهاج وأخميم التي كانت خاضعة لنظام وقوانين الأنبا شنودة في القرن الخامس الميلادي وأهم أديريته الشهيرة في جميع كتب التاريخ والآثار الدير الأبيض والدير الأحمر .

ونحن نعلم أن المغفور له الأمير عمر طوسون كان قبيل وفاته عليه رحمة الله

قد إهتم بإحصاء هذه الأديرة وبدأ فعلاً في جمع مادة البحث عنها من طئة لاجراء بعض المحفريات فيها، ولكن المنية للأسف لم تمهله؛ وعلى ذلك بقي العمود الذي بدأه دون أن يكتمل، ونود إن شاء الله أن تكون كلية الآداب بجامعة فاروق الأولى هي السابقة لتمام هذه المهمة شيئاً فشيئاً بقدر وإث يمكن متواضعاً إلا أنه بداية لأبأس بها وأقل نتائجها هي توجيه أنظار طلاب قسم الآثار هذه الناحية المهمة من الدراسات الأثرية، حتى إذا ما تخرجوا وشغلوا وظائف التدريس بمصلحة الآثار استفادوا وأفادوا من ملاحظة الآثار المسيحية إلى جانب الآثار الفرعونية.

وهناك ملاحظة عامة جعلناها موضع توجيه لأنظار الطلاب عند زيارة المعابد القديمة ومشاهدة التماثيل الوثنية القديمة وما أصابها من التلف والتشويه إذ أن ذلك لم يكن من عادات الزمن بحسب بل كان أثراً من آثار حملات التخريب المسيحية بقيادة الرهبان والمبشرين الذين قصدوا من ذلك القضاء على آثار الوثنية البائدة بتحطيم تماثيل الآلهة والملوك القدماء حتى أنه يندر أن نجد أحدها إلا وقد شوه وجهه تشويهاً.

وفي الختام يتضح لنا أن آثار المسيحية التي بدأت تستلمت أنظار البعثة والمنقبين والحفارين من الاجانب والمصريين جديرة بكل عناية وأن الحفرين جنباتها ليس وقتاً أو مالا مضيعاً.

عزيز سوريا ل عظيمه

١٩٤٩، ٤ / ٥